﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾ [المائدة: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا ذكر أنهم يعيبون على المسلمين إيمانهم ذكر في هذه الآية عيوبهم

لَمّا ذكر أنّ أهل الكتاب يعيبون المسلمين بما هو ليس عيبًا، وهو الإيمان بالله تعالى ورسله، ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك؛ ردًّا عليهم وتذكيرًا بمساوئهم[1]، فلَمّا "أُمرَ ﷺ بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أنّ مدارَ نقمِهم للدّين إنّما هو اشتمالُه على ما يوجب ارتضاءَه عندهم أيضًا، وكفرُهم بما هو مُسلَّم لهم، أُمرَ ﷺ عَقيبَه بأن يُبكتَهم ببيان أنّ الحقيقَ بالنّقم والعيب حقيقةُ ما هم عليه من الدّين المحرَّف"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَثُوبَةً﴾: (ثَوَبَ): أصلٌ يدلّ على العَوْدِ وَالرُّجُوعِ، والمَثوبةُ: ما جُوزي بِهِ الْإِنْسَان على فِعله من خَيْر أَو شَرّ[3]. وهي في الخير كالعقوبةِ من الشّرّ[4]."لكنّ الأكثر المتعارف أنّها في الخير: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، فإنّ ذلك استعارة في الشرّ"[5]، وفي الآية تعني "مرجعًا عند الله، أي في الحشر يوم القيامة، تقول العرب: ثاب يثوب إذا رجع، منه قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾"[6].

(1) ابن جزيّ، التسهيل: 1/237، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/54، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/245.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/54.
(3) الأزهري، تهذيب اللّغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ثوب).
(4) الرّاغب، تفسير الراغب: 5/387.
(5) الرّاغب، المفردات: (ثوب).
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/211.

2) ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾: (طَغَى، طَغِيَ) أَصْلٌ يدلّ على مُجَاوَزَةِ الحَدِّ فِي العِصْيَانِ، وغَلا في الكُفْرِ والظُّلْمِ[1]. "والطَّاغُوتُ عبارةٌ عن كلِّ متعدٍّ، وكلِّ معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع. قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾"[2].

3) ﴿سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: (سَوِيَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَاعْتِدَالٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، والسَّوَاءُ: وَسَطُ الدَّارِ وَغَيْرِهَا، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِاسْتِوَائِهِ، أي: يستوي طرفاه[3]. "وسطُه، ومنه قول العرب قمت حتى انقطع سوائي، وخطّ الاستقامة في السّبل إنما هو متمكّن غاية التّمكن في الأوساط؛ فلذلك خصّ السّواء بالذّكر"[4]. "أَيْ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وَالدِّينِ الحَقِّ"[5]، فهُمْ "حَائِرُونَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى مستقيم الطريق"[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يخاطب الله تعالى نبيّه ﷺ بأن يقول للمستمعين إن كان إيماننا بالله وما أُنزل إلينا شرًا، فإني أنبئكم بما هو شرٌ عاقبةً عند الله، إنّهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته، ومسخهم، وجعل منهم عُبَّادًا للطّاغوت، أولئك شرٌّ منزلةً يوم القيامة، وأضلُّ سعيًا عن الطّريق المستقيم[7].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

فائدة الأمر بالقول دون الخطاب المباشر:

الأمـــر بالـقـول إشارة إلى عِظَم مضمون المقول، وتـأكـيـدٌ للنصّ المَلَقّن

قوله جلّ شأنه: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أمر الله تعالى النّبيّ ﷺ بأن يخاطبهم بهذا الخطاب لاستدعاء إقبالهم على سماعه وتلقّيه[8]؛ لأنّ تلقين القَول بمقولٍ ما يدلّ على أهميّته، فهو من الأهميّة بحيث أن يقال بصيغة بيّنة[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (طغي).
(2) الرّاغب، المفردات: (طغى)، والزمخشري، الكشاف: 1/653.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي)، والراغب، المفردات: (سوا).
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/213.
(5) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/391.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/309.
(7) الرّاغب، تفسير الراغب: 5/387، ونخبة من العلماء، ونخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم الكريم: 1/118.
(8) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/54.
(9) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/298، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/530، والآلوسي، روح المعاني: 4/159.

بلاغة الخطاب بالاستفهام:

الخطاب بالاستفهام يشوّق إلى ما سيخبرهم به، ويدعو للتّنبه له

في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يخاطبهم بالاستفهام تشويقًا لما سيُخبرهم به، مع ما فيه من إجابة وردّ على استهزائهم سالف الذّكر[1].

الفرق بين الخطاب بالاستفهام دون الإخبار المباشر:

الإخبار بعد الاستفهام فيه إيقاظٌ لانتباههم، واستدعاء للاستماع بحضور وفَهْم

في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يخاطبهم بالاستفهام دون الإخبار المباشر؛ فلم يقل: (قل سأنبّئكم بشرّ من ذلك)؛ إيقاظًا لانتباههم، واستجلابًا لسماعهم؛ لأنّ الإنسان في فطرته يثيره ما يجهله، فإلقاء الخبر عليه بعد سؤاله يستدعي منه الحضور والانتباه لتلقّي الخبر بمزيد من الإدراك.

بلاغة التّعبير بضمير المخاطبين:

خاطب بالضّمير جميع السّامعين، تعميمًا لفضح اليهود بأسلافهم

يلاحظ في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أنَّ ضمير المخاطب شاملٌ لكلّ سامع، فهو يشمل المؤمنين، واليهود، والكفّار، أي قل هل أنبّئكم بشرّ من حال هؤلاء الفاسقين، أولئك أسلاف هؤلاء المستهزئين، إذ لعنهم الله وغضب عليهم[2]، فالإنباء هنا عامّ لكلّ سامع تعميمًا لفضح اليهود بما فعله أسلافهم.

إيثار التّعبير بلفظ الشّرّ دون غيره:

دلالة النّقم على الشّرّ ليست قطعيّة

في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ آثر التّعبير بلفظ الشّرّ دون غيره؛ فلم يقل (بأنقَمَ من ذلك) لأنّ مجرّد النّقم لا يدلّ على الشّرّ على جهة القطع، فآثر ذكر الشّرّ تحقيقًا لشرّ ما سيذكره، وزيادةً في تقريره[3].

(1) الواحديّ، البسيط: 7/444، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/54.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/211، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/305، والسمين، الدر المصون: 4/323.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/54 - 55.

بيان المشار إليه:

في قوله جلّ شأنه: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ اسم الإشارة يشير إلى الإيمان الذي نقموه، وإنّما أشار إليه بصفة الشّرّ على سبيل الفرض؛ لأنّه أراد أن يبني عليه التّهكّم في قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي ممّا هو أشدّ شرًّا ممّا نقمتم من الإيمان[1].

الإشـــارة إلى الإيمان المنقوم عـــلى سبـيـل الـفرض؛ لبناء التّهكّم عليه

إيثار التّعبير بالإشارة دون الضّمير:

في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ عبّر عن الإيمان الذي نقموه باسم الإشارة دون الضّمير، فلم يقل: (بشرٍّ منه)؛ تعظيمًا لنقمهم، فإنّ جُرمهم ظاهر بحيث إنّه يشار إليه.

في التّعبير باسم الإشـارة إظـهارٌ لعظم جرمهم، ودلالةٌ على شدّة ظهوره

السّرّ في التّعبير باسم الإشارة الدّالّ على البعد:

في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ عبّر باسم الإشارة الدّالّ على البعد، ولم يقل: (بشرّ من هذا) إشارة إلى شناعة ذلك النّقم، ودلالةً على بعد درجته في القبح، وعراقته في ذلك.

الـــدّلالـــة على شناعة نقْمهم، وبعد درجته في القبح

بلاغة الإيجاز بالحذف:

في قوله جلّ شأنه: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ اسم التّفضيل في الآية يقارن بين (الإيمان)، و(مَنْ لعنه الله)، ولا مطابقة بينهما في المعنى فالمفاضلة لا تستقيم، إذ لا يقال: الملعون شرٌّ من الإيمان، فلا بدّ من تقدير مضاف قبل اسم الإشارة ليتطابق المعنى، والتّقدير: بشرٍّ مِن أهل ذلك الإيمان[2].

حـذف المـضـاف لـدلالـة المعنى عليه، تحقيقًا للمطابقة بين المشار والمشار إليه

اقتضاء وصف سبيل المؤمنين بالشّرّ والجواب عنه:

في قوله جلّ شأنه: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ أشار باسم الإشارة إلى أهل الإيمان، ثم أجرى مفاضلة بينهم وبين مَن لعنهم الله في صفة

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/651، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/133، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/245.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/651، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/390، والطّيبي، فتوح الغيب: 5/406.

جـــرى وصـف الـــشـــرّ عـلى الإيـــمـــان على سبيل الفرض، ومـــــع ذلـــك الـــفـــرض فـــإنّ سبيلكم أكثر شرًّا

الشّرّ، وهذا يقتضي أن المؤمنين محكوم عليهم بالشّرّ، وهم ليسوا كذلك، ولكن خرج الكلام على حسب قول اليهود واعتقادهم، فقيل لهم: وإنْ فُرِضَ بأنّ الأمر كما تقولون، فإنّ مَن لعنه الله وغضب عليه شرٌّ منهم[1].

أشـرك المؤمنين مـــع الـيـهـود بـصـفـة الـشّـرّ إجراءً للمفاضلة

أطلق لفظ الشّرّ على المؤمنين، فجعل المفضّل والمفضّل عليه من جنس واحد على سبيل الافتراض، فاتّصف اليهود به على وجه الحقيقة، والمسلمون على وجه الادّعاء، ثمّ فضّل أحدهما على الآخر جريًا على سنن إرخاء العنان[2]. وأريدَ من التّشريك بهذا الوصف إجراءُ المفاضلة، إفحامًا لليهود، وإبطالًا لما يعتقدون من شرّيّة المؤمنين.

الاستعارة التّهكميّة بالتّعبير عن الإساءة بالمثوبة:

عبّر عن العقوبة والمكانة السيّئة بالمثوبة الحسنة تهكّمًا بهم

في قوله جلّ شأنه: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾...الآية؛ استعارة تهكّميّة[3]، حيث شبّه العقاب بالثّواب الحسَن، بجامع أنّهما الجزاء المنتظر عند الله، وأجرى على الثّواب صفة الشّرّ، وهي القرينة الدّالّة على أنّه أراد العذاب لا الثّواب، والغاية من ذلك التّهكّم بهم، على طريقة قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: 21][4]، فإنّ البشارة لا تكون بالعذاب، فاستعمل الضّدّ مكان ضدّه للتّهكّم[5].

سيق الاستئناف جـــوابًـــا عـن ســـؤال نـشـأ طـلـبًـا لـلإجـابـة عـن الاستفهام السابق

الحكمة من الاستئناف:

في قوله جلّ شأنه: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ استئنافٌ للإجابة عن سؤال نشأ من الاستفهام، فكأنّه قيل: ما الذي هو شرٌّ

(1) الشربيني، السراج المنير: 1/383.

(2) الطّيبي، فتوح الغيب: 5/407.

(3) الاستعارة التهكمية، أن يستعمل اللفظ الدّالّ على المدح في نقيضه من الذّمّ والإهانة تهكّمًا بالمخاطب، واستهزاءً به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: 21] بدل (أنذرهم)، فاستعيرت البشارة التي هي الخبر السّار، للإنذار الذي هو ضدّه على سبيل التهكم والاستهزاء. العلوي، الطراز: 1/127 - 128، والهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 268.

(4) الزمخشري، الكشاف: 1/651 - 652، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/390، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/133.

(5) النيسابوري، غرائب القرآن: 2/611.

من ذلك؟ فقيل: هو دينُ مَنْ لعنه الله، أو قيل في السّؤال: من ذا الذي هو شرٌّ من أهل ذلك؟ فقيل: هو مَنْ لعنه الله[1].

إيثار التّعبير عنهم بالموصول دون الاسم:

في قوله جلّ شأنه: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ عدل عن مخاطبتهم بالاسم، فلم يقل: (اليهود) إلى الخطاب بالموصول؛ تعميمًا لكلّ اليهود، تحقيرًا لهم بإظهار معايب أسلافهم. فعرّفهم بالموصول إظهارًا لصفاتهم في الصّلة، فسيق الموصول مع صلته مساق التّعريف بالحدّ، للدّلالة على أنّ الأكثر شرًّا هو من جمع هذه الصّفات لا غيره.

عـــــدل إلى الموصول لدلالته على العموم، وليشمل غير المخاطبين وقت التّنزيل

فائدة الإخبار باللّعنة والغضب عليهم:

كان اليهود يزعمون أنّ المسلمين مستوجبون للعقوبة، فردّ عليهم مخبرًا بأنّ: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ هو الأكثر شرًّا، والأشدّ عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم[2].

أخبر عن لعنهم والغضب عليهم ردًّا عليهم، وإظهارًا لكونهم أشرّ

بلاغة الإيجاز بالحذف:

في قوله جلّ شأنه: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ جملة اسميّة حذف منها المبتدأ وتقديره: هو من لعنه الله، والمراد اليهود[3]، وإنّما حذف المبتدأ هنا تعجيلًا بذكر الخبر المشّوّق إليه في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾.

حـــذف المبتدأ إيجازًا للألفاظ، واتّـــكـــاءً على ظهور المراد به

بلاغة الإظهار موضع الإضمار:

في قوله جلّ شأنه: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ كرّر لفظ الجلالة، فوضع الاسم الظّاهر موضع المضمر فلم يقل: (عند الله من لعنه وغضب عليه)؛ تهويلًا لأمر اللّعن والغضب، وإدخالًا للرّوعة[4].

أظـــهـــر اســـم الـجـلالـة بـدل الإضـــمـــار تـهـويـلًا للّعنة ومـا بـعـدهـا، وتـعـظـيـمًـا لعقابه ﷻ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/55.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 1/457.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/55.

فائدة التّبعيض في دلالة (مِن)

عـبّر بـ (مِـن) التّبعيضيّة للدّلالة على أنّ بعضهم جعل قـردة، وليس جميعهم

قوله جل شأنه: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ عبّر بـ (مِن) الدّالّة على التّبعيض للدّلالة على أنّ المسخ نال بعضهم وليس جميعهم، فالمراد بهم أصحاب السّبت[1]، فالمسخ خاصّ بأهل السّبت منهم.

علّة جمع الضّمير وإفراده:

جمع الضّمير باعتبار المعنى، وأفرده باعتبار اللّفظ

قوله جلّ شأنه: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ في الآية ثلاثة ضمائر، فأفرد الضّمير في: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، وجمعه في: ﴿مِنْهُمُ﴾، وهي عائدة إلى الاسم الموصول (مَنْ) في قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ﴾، وهو يستعمل للمفرد والجمع بلفظ واحد مفرد، فالجمع باعتبار معناه، والإفراد باعتبار لفظه[2].

ويضاف إلى ذلك أنّ (مِن) دلّت على التّبعيض، والتّبعيضُ إنّما يكون من مجموع، فجاء الضّمير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ﴾ مجموعًا اقتضاءً لإجراء التّبعيض.

بلاغة العطف:

دلّ العطف على اشتراك الصّفات بـالاسـتـقـرار بـهـم، وإظـهـارًا لاختـصـاصـهـم بها

قوله جل شأنه: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ وأفاد العطف أنّ الصّفات المذكورة مشتركة باستقرارها بهم، واختصاصهم بها حتّى صارت صفات معرِّفةً لهم، لم تجتمع في غيرهم.

دلالة الإخبار بعبادتهم الطّاغوت بعد العقوبات المذكورة:

قوله جل شأنه: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ بمعنى أنّ الله تعالى خذلهم حتّى عبدوه[3]، وهو معطوف على العقوبات المذكورة قبله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾، فأخبر الله تعالى بعقوبة أخرى اختصّهم بها وهي

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 1/458.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/55.
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/652.

خذلانهم عن الهدى؛ لتمرّدهم وكثرة معاصيهم، فلم يوفّقهم للإيمان وخلّاهم لأنفسهم، فضلّوا فعبدوا الطّاغوت.

ذكره في سياق العقوبات للدّلالة على أنّه عقوبة كاللّعنة والغضب، فعاقبهم بمنع الهداية عنهم، فخذلهم ولم يوفّقهم للإيمان وخلّاهم لأنفسهم، فضلّوا فعبدو الطّاغوت.

علّة التّعبير بالمفرد دون الجمع:

قوله جل شأنه: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ أفرد الضّمير في (عَبَدَ) وإن كان المراد الكثرة، فلم يقل: (عبدوا الطّاغوت)؛ لأنّ الكلام محمول على لفظ (مَنْ) الدالّ على الإفراد، دون معناه الدّالّ على الجمع[1].

عبّر بالمفرد في الضّمير، حملًا للكلام على لفظ (مَن) المفرد دون معناه

فائدة الإخبار عنهم بتلك العقوبات والمعاصي، وهي لأسلافهم وليست لهم:

في قوله جلّ شأنه: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ أخبر عن تلك المعاصي والعقوبات التي نالها أسلافهم تعييرًا لهم بهم، وتبكيتًا عن التّطاول[2] فمن أراد أن يرمي النّاس بمساوئهم فلا بدّ أن يكون نقيّ الثّوب، قد سلف منه الفضل والصّلاح، فمن ساء سلفه فأنى له التّطاول على النّاس!!

أخبر بذلك تبكيتًا لهم بمساوئ أسلافهم، وردعًا لهم عن التّطاول على المسلمين

قد جرت العادة أنّ الأمم أفضلهم أسلافهم، لتحقّق معاني الدّعوة فيهم بصحبة أنبيائهم، فتعيير اليهود بفضائح أسلافهم لبيان أنّ ما ارتكبوه كان في حضرة أنبيائهم، فلم يردعهم وجود أنبيائهم عن اجتراحهم المعاصي، فلا شكّ أنّهم الآن أكثر سوءًا، وأجدرُ بكونهم أكثر شرًّا.

لمّا ارتكب أسلافهم ذلك في حضرة أنبيائهم، دلّ ذلك على أنّ خلفهم أشد اجتراحًا للمساوئ

الحكمة من تعريف المسند إليه بالإشارة:

قوله جلّ شأنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ عبّر عنهم باسم الإشارة استحضارًا لصفتهم، أي أولئك الذين صفتهم أنّهم مسخوا

(1) الواحديّ، البسيط: 7/446.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/247.

عـــبّر عـنـهـم بـاسـم الإشـارة لاسـتـحـضـار الـصّـفـات السّابقة

ولعنوا[1]، تنبيهًا على علّة وصفهم بما سيأتي، فالصّفات التي استحضرها اسم الإشارة هي السّبب في إنزالهم تلك المكانة السّيئة، ولم يعبّر عنهم بالضّمير، فلم يقل: (هم شرّ مكانًا)؛ لأنّ الضّمير لا يستحضر تلك الصّفات.

إيثار صيغة البعد في اسم الإشارة:

آثر اسم الإشارة الدّالّ على البعد إيـذانًـا ببعد منزلتهم في الشّرّ

في قوله جلّ شأنه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ آثر أن يعبّر عنهم باسم الإشارة الدّالّ على البعد للدّلالة على بعد منزلتِهم في الشّرّ[2]، فلم يقل: (هؤلاء شرٌّ مكانًا) لأنّه أراد بدلالة البعد في: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ أن يظهر المبالغة في سوء مكانتهم بالإشارة إلى علوّ رتبتهم في الشّرّ.

الكناية بنسبة الشرّ إلى المكان:

نـسـب الـشّـرّ لـلـمـكـان وهـو لأهـلـه، مبالغةً في الـذّمّ، كناية عـــن ســـوء مكانتهم

في قوله جلّ شأنه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ جُعلت صفة الشّرّ للمكان، وهي في الأصل لأهْله؛ لأنّ المكان لا يوصف بالشّرّ، بل بسبب مَن حلّ فيه، فإذا وُصف المكان بالشّرّ فيلزم أن يكون الحالّ فيه متّصفًا بالشّرّ، بيانًا لسوء مكانتهم وحالهم، ومبالغةً في وصفهم بالشّرّ[3]؛ فإذا كان المكان بذاته متّصفًا بالشّر فكيف بالحالّ فيه؟!

دلالة اسم التّفضيل على زيادة المعنى دون المشاركة:

المراد بيان زيادة اتّصافهم بذلك، بلا تفاضل مع أحد آخر

في قوله جلّ شأنه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ﴾ عبّر عن شرّ مكانتهم وضلالهم باسم التّفضيل (شرّ، وأضلّ)، وهو في هذا الموضع لا يدلّ على أنّ في الطّرف الآخر مشاركة في صفة المفاضلة[4]، فالمراد من صيغتي التّفضيل الدّلالة على زيادة المعنى مطلقًا لا بالإضافة إلى المؤمنين[5].

(1) الواحديّ، البسيط: 7/448، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134، والنسفي، مدارك التنزيل: 1/458.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/56.
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/653، والطّيبي، الرازي، مفاتيح الغيب: 12/391، فتوح الغيب: 5/409 - 410.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/211، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/144.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/56.

المتشابه اللّفظي: الاستفهام بـ (هل) وبـ (أ):

في قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾، تشابه لفظيٌّ مع قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ [الحج: 72]، حيث جاء الاستفهام في آية سورة المائدة بـ (هل)، في قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾، وفي سورة الحجّ جاء بالهمزة: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم﴾، وفيها تشابه لفظيّ آخر فخصّت المائدة باسم الإشارة بخطاب المفرد: ﴿مِّن ذَٰلِكَ﴾، وجاء اسم الإشارة في سورة الحج بخطاب الجمع: ﴿مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ [آل عمران: 15]. فما وجه تخصيص كلّ موضع بما جاء فيه؟

المفاضلة تقتضي التّصديق فناسبه هل، وذكر النّار تصوّر فناسبه الاستفهام بالهمزة

الإجابة أنّنا نجد أنّ آية المائدة يسبقها قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾، فجاء الاستفهام هنا بأداة التّصديق، والتّصديقُ إنّما يكون عن تفكّر ونظر[1]؛ فلمّا كان السّياق متعلّقًا بالمفاضلة بين منهجين وطريقين ناسبه ذكر أداة التّصديق الدّاعية للتّفكّر والنّظر.

أما آية الحج فالسّياق فيها لا يتكلّم عن منهجين ولا عمّا يستدعي البحث والنّظر، بل السّياق في النّار، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: 72] والنّار متصّورة؛ فناسب ذكر حرف التّصور وهو الهمزة.

الاختلاف في الإشارة بـ (ذلك) وبـ (ذلكم)

عبّر بـ (ذلك) لأنّه مسبوق بحرف النّداء فاكتفى به للتّنبيه، وعبّر بـ (ذلكم) إظهارًا للتّنبيه

وأما الإجابة عن الاختلاف في اسم الإشارة، فإنّه لما تقدم تنبيه المخاطبين بحرف النّداء (يا) في قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ ناسبه الاكتفاء بذكر ﴿ذَٰلِكَ﴾، ولمّا كان هؤلاء غافلين عن الآيات؛ ناسبه تنبيههم بذكر ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الحج: 72].

(1) ابن الزبير، ملاك التأويل: 2/482.

الاختلاف في: (عن سواء السّبيل)، و(سبيلًا):

قوله جلّ شأنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فيه تشابه لفظيٌّ مع قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: 34]. فاختلفت الآيتان بعد قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ﴾، فقال في المائدة: ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقال في الفرقان: ﴿سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: 34] فلمَ خُصّت كلُّ آية بما فيها؟

ضلال اليهود عن وسط السبيل لا عن أصله؛ لما لهم من كتاب وعلم، أمّا الكافرون فضلّوا عن أصل السّبيل

والإجابة عن ذلك أنّ آية المائدة بدأت بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ لأنّ الحديث مع اليهود من أهل الكتاب، وهم لديهم شريعة ويعرفون الله ويوحّدونه، فضلالهم ليس على وجه التّمام، بل ضلّوا عن سوائه ووسطه، بما عملوا من تلك الجرائم.

أما آية الفرقان فقد بدأت بقوله جلّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، فإنّ السّياق هنا في الكافرين، وهم قد ضلّوا عن أصل السّبيل على وجه التّمام.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإنباء والإخبار:

النّبأ إخبارٌ فيه معنًى عَظِيم الشَّأن، فهو أخصُّ من الخبر، وَأُخِذَ مِنْهُ صفة النّبيّ، ولهذا يُقال سَيكون لفُلَان نبأ، ولا يُقال خبر، وَإِنَّمَا يُطلق عَلَيْهِ ذلك لما فِيهِ من عَظِيم الشَّأن[1]، وفي قوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ آثر التّعبير بالنّبأ المُشعر بكونه أمرًا خطيرًا[2]، لأنّه إخبار عن عذاب عظيم، وهو لعنة الله تعالى، وغضبه، والمسخ، وهذا نبأ عظيم الشّأن.

النّبأ هو الخبر الذي له شأن عظيم

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/54.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»